

وبين الاستقلال مع الاقرار بعلاقة خاصة مع بريطانيا، مع، او بدون، الوحدة العربية. ودام ذلك الى ان اندلعت ثورة ١٩٣٦ حين برزت فكرة تقسيم البلاد بين العرب واليهود، فانصب النضال العربي الوطني لمنع التقسيم.

الا ان المطالبين بالاستقلال، بأي نوع من انواعه، ظلوا، حتى ذلك الوقت، يرفضون الاقرار بأية مطالب او حقوق يهودية خاصة، ويرفضون من السياسة البريطانية دعمها لهذه المطالب والحقوق، ويعتبرون ان ما تعرضه بريطانيا على اساس ادعائها بالالتزام المزدوج لليهود والعرب يشتمل على تناقض لا يمكن حله. وكان الوطنيون الفلسطينيون ينطلقون، في حوارهم حول هذه المسألة مع البريطانيين، من ان تحقيق الوطن القومي اليهودي سيؤدي الى تدمير الوجود القومي للعرب في فلسطين والى القضاء على مصالحهم الاقتصادية. وكان هؤلاء الوطنيون يجهدون انفسهم في تقديم البراهين على ان من مصلحة بريطانيا ان تختار الوفاء للمصالح العربية في فلسطين وليس للمصالح اليهودية لانها، بهذا، تصون مصالحها الكثيرة في البلاد العربية والاسلامية الشاسعة. غير ان بريطانيا، التي تدرك مصالحها على نحو يفاير ما تتضمنه النصائح العربية الفلسطينية، ظلت تتمسك بما تصفه بالالتزام المزدوج ازاء العرب واليهود وتسلك سلوكا عمليا يدعم المشروع الصهيوني.

يتضح، ان، من مجرى العلاقات الفلسطينية - البريطانية عبر ثلاثين سنة، امتدت من ١٩١٨ - ١٩٤٨، مما عرضنا لبعض جوانبه آنفاً، ان الحركة الوطنية الفلسطينية لم تجد بينها وبين بريطانيا من اسباب للاحتكاك او التصادم سوى المسألة المرتبطة بالمشروع الصهيوني. حتى في هذا المجال، وحتى بعد ان اعلنت بريطانيا سياستها رسمياً وتوالت تأكيدات انهاء لها بمضي السنين، لم تفقد الحركة الوطنية الفلسطينية آمالها بأن تقنع بريطانيا بالتخلي عن دعمها للمشروع الصهيوني الا بعد ان صار لليهود، في ظل الدعم البريطاني، وجود يصعب قهره، وذلك بعد ان اجهضت القوة العسكرية البريطانية والقوانين الاستثنائية وتدخلات «الاشقاء» العرب ثورة ١٩٣٦ وقهرت القائمين بها وشتمت قياداتها.

تجديد الأمل مع توالي الحكومات

تصور الوطنيون الفلسطينيون، في البداية، ان بريطانيا جاءت الى فلسطين لتحل العدل والسلام وتنشر العلم والثقافة بدل التخلف العثماني، واعتقدوا ان تأييدها لمشروع الوطن القومي اليهودي مبعثه عدم معرفتها بنوازع اليهود وعدم اطلاعها على الحجج العربية ضده. ولهذا، رأينا مذكرات الاحتجاج الاولى الموجهة من فلسطينيين الى مسؤولين بريطانيين تنصب على تفنيد الحجج الصهيونية وترمي لاقناع البريطانيين ببطانها. وهذا ما فعلته، على سبيل المثال، واحدة من هذه المذكرات ارسلتها في العام ١٩١٨ انشط الجمعيات الاسلامية - المسيحية وهي «جمعية يافا» الى الجنرال كلايتون محتجة فيها على المطالب الصهيونية؛ فقد اسهبت المذكرة في سرد البراهين وانتهت الى القول «ان دولة بريطانيا العظمى التي احتلت بلادنا لتنتشر فيها راية العدل والمساواة بين العناصر، فانا نقدم لها مزيد الشكر والاخلاص لهذا المبدأ الشريف، راجين من سعادتكم ان تتخذوا جميع الوسائل لراحتنا وحررتنا، بما فطرت عليه من كرم الاخلاص وسمو المدارك»^(٨). والمعنى ذاته تضمنته مذكرة المؤتمر العربي الفلسطيني الاول التي وجهها الى مؤتمر